مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١)

فقد جاء في تفسير هذه الآية قوله:

قال مجاهدُ: هذا وَعيدٌ من الله تعالى للمخالفين أوامرَه بأنَّ أعمالهم ستُعرَضُ عليه - تبارك وتعالى - وعلى الرسول ﷺ، وعلى المؤمنين. وهذا كائنٌ لاَ محالةَ يومَ القيامة، كما قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ (٤)، وقد يصهر ذلك للناس في الدنيا، كما روى الإمامُ أحمد، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلا كُوَّةٌ (٥) لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ » (٦)

وقد ورد أن أعمالَ الأحياء تُعرَضُ على الأموات من الأقرباء والعشائر في

---

(١) التوبة: ١٠٥.
(٢) الحاقة: ١٨.
(٣) الطارق: ٩.
(٤) العاديات: ١٠.
(٥) أي فتحة.
(٦) أحمد: باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رقم ١٠٧٩٨.

البرزخ، كما رُوي عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا » (١)

وقال البخاريُّ: قالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: « إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

وروى الإمامُ أحمدُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لا عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ؛ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمْرِهِ أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلاً سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلاً صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ » (٢)

أخي المسلم: ذاك ما ذكره ابنُ كثيرٍ في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ألاَ فليراقب الإنسانُ نفسَه، وليُحْسِنِ قَصْدَه وعمله، وليحذَرْ - إنْ هَوَ وُفِّقَ وعَمِلَ - أن يسندَ فضلاً لنفسه، وإنْ هَوَ أسرفَ على نفسه أن يقنط من رحمة ربِّه، فمَن وُفِّقَ إلى عملٍ صالح فالفضلُ لله الذي أعانَهُ ووفَّقَهُ، ومَنْ أسرَفَ أو أَسَاءَ فليسارِع - دونَ إصرارٍ - إلى تصحيحِ أمره، واستغفار ربِّه. وبذلك يلازم

(١) أحمد: باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك ﷺ رقم ١٢٢٢٢.
(٢) أحمد: باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك ﷺ رقم ١١٧٦٨.

الإنسانُ ذكرَ ربِّه في الحالَيْن، ويعمل وهو يحذر إحباط عمله، أو إبطال سَعيه.

وكم من أعمال صالحة يحبطها الشركُ، وصدقات بارَّة يُبطلها المَنُّ والأذى.

ولكي يسلم الإنسانُ من هذا أو ذاك عليه أن يُخلِصَ قَصْدَه، وأن يُحْسِنَ عملَهُ، وألاَّ ينسى - في جميع أمره - فَضْلَ ربِّه.

بذلك يُقبَلُ العمل ويُثمر، ويكون لصاحبه ذِكراً طيباً في دُنياه، وأجراً حسناً في أُخراه.

وذاك وعدُ الله لِمَن أخْلَصَ قَصْدَه، وأَحْسَنَ عملَه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (١)

وهؤلاء ترى من أخلاقِهم أنهم لا يذكرون عملَهم، ولا يَمُنُّونَ به، وإنما يذكرون فضلَ ربِّهم، ويشكرون نِعمَتَه. وهذا الخُلُق يُلازمهم، ولا يَنْفَكُّ عنهم وهم يفوزونَ برحمةِ الله ويخلدون فيها.

وذاكَ ما أخبرَ به اللهُ عنهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢)

هم يذكرون فضلَ ربِّهم؛ إذ لولاه ما اهتدوا، ولا أَحْسَنُوا الاستجابةَ لرُسُلِه، وقد عملوا بما جاءت به الرُّسُل؛ فالفضل لله الذي أرسلَ الرُّسُلَ، والفضلُ لله الذي

(١) النحل: ٩٧.
(٢) الأعراف: ٤٣.

هَداهُم، والفضلُ لله الذي رَحِمهم وَقَبِلَ عَمَلَهُم، « ولَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِه » [1]، وإنما يدخلها إذا تغمده الله برحمته، ولذلك لم يقولوا: عملنا فدخلنا الجنة. وإنما قالوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾

والحديثُ عَن عملهم جاءَ مِن غيرِهم ﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

أخي المسلم: إنَّ الله لا يُضيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِن ذَكَرٍ أو أُنْثَى. فمَنْ أَحَبَّ أن يُقْبَلَ عملُه، وأن يَعْظُمَ أجـــرُه، فليُخْلِص القَصْدَ لربِّه، ومَن كـــان كذلك فهو مع المؤمنين ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [2]

إنَّ للعمل الصالح منهجه وضوابطه التي بها يصعَدُ ولا يهبط، ويُقْبَلُ ولا يُرَدُّ، وإلى الله لا إلى غيره يصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ، ويُرْفَعُ العملُ الصالح ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [3]

فليكن عملُنا كُلُّه طَلَباً لمرضاةِ ربِّنا، واتِّباعاً لرسولِنا، ووفاءً لإيمانِنَا.

---

(١) أحمد: باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة ﷺ رقم ٧١٦٧.

(٢) النساء: من الآية ١٤٦.

(٣) فاطر: من الآية ١٠.